شرح رسالة

وجبنا نحو ما أمرنا الله

تصنيف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

شرحها

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

شرح رسالة

واجبنا نحو ما أمرنا به الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع - ١٤٤١/٢٠٢٠
ردمك : ٣-٥٧-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨
الإيداع القانوني: السداسي الأول، ٢٠٢٠
Dar Al-furquan Edition. 2020
ISBN: 978-9931-616-57-3
Dépôt Légal: 1er semestre. 2020

ISBN 978-9931-616-57-3
9789931616573

دار الفرقان للنشر والتوزيع
جوال: ٠٠ ٢١٣ (٠) ٥٥٦٩٦٥٨١٠
dar.alfurquan@gmail.com

شرح رسالة

واجبنا نحو ما أمرنا الله به

تصنيف شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

شرحها

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المُعْتَنِي

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدله ضلَّ الضَّالون، أحمده سبحانه حمد عبد نزَّه ربَّه عما يقول الظَّالمون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسبحان الله ربِّ العرش عمَّا يصفون، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّدا عبده ورسوله وخليله الصَّادق المأمون، اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه الَّذين هم بهديه مستمسكون، وعلى هديه سائرون.

أمَّا بعد:

فإنَّه «لا صلاح للعباد، ولا فلاح ولا نجاح، ولا حياة طيِّبة ولا سعادة في الدَّارين، ولا نجاة من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة، إلَّا بمعرفة أوَّل مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الَّذي خلقهم الله عز وجل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدُّنيا والآخرة، والجنَّة والنَّار، وبه حقَّت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصُّحف، وفيه تكون الشَّقاوة والسَّعادة، وعلى حسب ذلك تُقسم الأنوار ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن

نُّورٍ ﴿٤٠﴾ [سُورَةُ النُّورِ]»[١].

وفي المقابل فإنَّ أعظم الذُّنوب الشرك بعلَّام الغيوب ﷻ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أي الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟

قَالَ « أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ »[٢].

وهو أكبر الكبائر، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» (ثَلاَثًا).

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ..»[٣].

فلهذا فإنَّ التوحيد أعظم وأكرم ما يعتني به العبد المسلم، والشرك أكبر وأخطر ما يهابه ويخافه على نفسه.

وقد تنوَّعت كتابات علماء أهل السنَّة في هذا الموضوع بين مطوِّل ومختِصر، ومن بين هؤلاء العلماء الفضلاء الأجلاء الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله «فشمَّر عن ساعد جدّه واجتهاده؛ وأعلن بالنُّصح لله ولكتابه ورسوله، وسائر عباده، دعا إلى ما دعت إليه الرُّسل، من توحيد الله وعبادته، ونهاهم عن الشِّرك، ووسائله وذرائعه؛ فالحمد لله الَّذي جعل في

---

(١) «معارج القبول» (١/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

كلِّ زمان من يقول الحقّ، ويرشد إلى الهدى والصِّدق، وتندفع بعلمه حجج المبطلين، وتلبيس الجاهلين المفتونين»[١].

وقد كتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من الكتب والرسائل نُصحا للأمَّة فيما ينفعها، وتحذيرا لها فيما يضرّها في دينها ودنياها، فجزاه الله خير الجزاء.

ومن هذه الكتب المذكورة، والرسائل المغمورة (**واجبنا نحو ما أمرنا الله به**)، وهو بحث نافع لطيف، ماتع منيف، له المكانة العالية، والمنزلة الغالية عند العلماء وطلبة العلم، لذا حفظوه وفي المجالس شرحوه.

وَمِمَّا زاد هذه المتن نفعًا - بإذن الله - شرح شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

ومِنْ باب التَّعاون على نشر العلم النَّافع، والسَّعي في تعميمه للحاجة الماسَّة إليه، قُمْت بالاعتناءِ بهذه الرِّسالة؛ وَأَصْلها دروس للشَّيخ فُرِّغت؛ فاستأذنْتُه في إخراجها في كُتَيِّب، فما كان مِنَ الشَّيخ حَفِظَهُ ٱللَّهُ إلَّا الموافقة والتَّشجيع، فجزاه الله خيرًا[٢].

ومَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب والتَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ١٦).

(٢) كان ذلك في بيته بالمدينة النَّبويَّة، يوم الأربعاء ٢ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ، الموافق لـ ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٧م.

يُربط به الكَلَام لِتَمَامِ المَعْنى مع التَّعليق على بعض المواضع منها.

سائلًا الله ﷻ أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يجزي خير الجزاء كل من أسهم في إخراجه للمنتفعين، إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

المتـن:

قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له في رسالته «واجبنا نحو ما أمرنا الله به»: «**إِذَا أَمَرَ الله العَبْدَ بِأَمْرٍ وَجَبَ عَلَيْهِ فِيهِ سَبْعُ مَرَاتِبَ:**

الأُولَى: العِلْمُ بِهِ.

وَالثَّانِيَةُ: مَحَبَّتُهُ.

وَالثَّالِثَةُ: العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ.

وَالرَّابِعَةُ: العَمَلُ.

وَالخَامِسَةُ: كُوْنُه يَقَعُ عَلَى المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا.

وَالسَّادِسَةُ: التَّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِ مَا يُحْبِطُهُ.

وَالسَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَيْهِ.

إِذَا عَرَفَ الإِنْسَانُ أَنَّ الله أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ وَنَهَى عَنِ الشِّرْكِ، أَوْ عَرَفَ أَنَّ الله أَحَلَّ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، أَوْ عَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ أَكْلَ مَالِ اليَتِيمِ وَأَحَلَّ لِوَلِيِّهِ أَنْ يَأْكُلَ بِالمَعْرُوفِ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ المَأْمُورَ بِهِ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَهُ، وَيَعْلَمَ المَنْهِيَّ عَنْهُ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَهُ، وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ بِالمَسْأَلَةِ الأُولَى، وَهِيَ مَسْأَلَةُ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ، أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ وَلَكِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَسْأَلْ، وَعَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ الرِّبَا وَبَاعَ وَاشْتَرَى وَلَمْ يَسْأَلْ، وَعَرَفَ تَحْرِيمَ أَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَجَوَازَ الأَكْلِ بِالمَعْرُوفِ وَيَتَوَلَّى مَالَ اليَتِيمِ وَلَمْ يَسْأَلْ.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: مَحَبَّةُ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَكُفْرِ مَنْ كَرِهَهُ، لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ] فَأَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يُحِبْ الرَّسُولَ بَلْ أَبْغَضَهُ، وَأَبْغَضَ مَا جَاءَ بِهِ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَرَفَ وَأَحَبَّ وَلَكِنْ لَمْ يَعْزِمْ خَوْفًا مِنْ تَغَيُّرِ دُنْيَاه.

المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: العَمَلُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَزَمَ أَوْ عَمِلَ وَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ مَنْ يُعَظِّمُهُ مِنْ شُيُوخٍ أَوْ غَيْرِهِمْ تَرَكَ العَمَلَ.

المَرْتَبَةُ الخَامِسَةُ: أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ عَمِلَ لَا يَقَعُ خَالِصًا، فَإِنْ وَقَعَ خَالِصًا لَمْ يَقَعْ صَوَابًا.

المَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ الصَّالِحِينَ يَخَافُونَ مِنْ حُبُوطِ العَمَلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، وَهَذِهِ مِنْ أَقَلِّ الأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا.

المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَى الحَقِّ، وَالخَوْفُ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَعْمَل بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، وَيُخْتَم لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار».

وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَخَافُ مِنْهُ الصَّالِحُونَ، وَهِيَ قَلِيلٌ فِي زَمَانِنَا، فَالتَّفَكُّرُ فِي حَالِ الَّذِي تَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ يَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ تَجْهَلُهُ، وَاللهُ أَعْلَم[1].

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٧٤).

مُقَدِّمَةُ الشَّارِح

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فبين أيدينا رسالة قيمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الواجب على كل مسلم نحو ما أمره الله تبارك وتعالى به، والله ﷻ أمرنا بأوامر كثيرة، ونهانا عن أمور عديدة، جاءت في كتابه تعالى، وفي سنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فما الواجب علينا، نحو ما أمرنا الله به، ونحو ما نهانا عنه؟

فلاشك أن هذا من الأمور العظيمة التي ينبغي أن يعيها كل مسلم ومسلمة؛ وفي هذه الرسالة القيمة للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بين أن الواجب علينا نحو ما أمرنا الله تبارك وتعالى به أمور سبعة بينها واحدا تلو الآخر نقرؤها في رسالته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولا، ثم أعلق عليها بما ييسره الله ﷻ، والله الموفق لا شريك له.

وقبل هذا أذكر بعض ما تتميز به مصنفات الإمام شيخ الإسلام محمد

بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أشير إليها إجمالا[١]:

الميزة الأولى: أن النصيحة للمؤمنين، والحرص عليهم، وعلى نفعهم، وهداية المخالف منهم والضال عن سواء السبيل، ظاهرة بارزة فهي شغله الشاغل رَحِمَهُ اللَّهُ.

والميزة الثانية: أن رسائله أتت على مهمات الدين، وقواعد الشريعة، وأصول الإيمان وأموره الكبار، فكان يعتني بهذه المسائل التي يجهلها الكثير من الناس عناية بالغة لمسيس الحاجة إليها من جهة، والبيان المغلوط لها من أئمة الضلال وترويج الباطل فيها بين الناس من جهة أخرى

والميزة الثالثة لمصنفاته رَحِمَهُ اللَّهُ: أنها مختصرة، وموجزة أي: يوجز القول ويقلل الكلام، ولكنه يأتي بجوامع الخير تقريرا وتقعيدا وتأصيلا بدون إطالة مملة أو اختصار مخل.

والميزة الرابعة: عنايته الدقيقة رَحِمَهُ اللَّهُ بالدليل: قال الله، قال رسوله ﷺ، وهذه ميزة عظيمة تميزت بها مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ وهو سائر في ذلك على سنن السلف الصالح، وأئمة الهدى، وقد جاء عن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:

---

(١) للشيخ العلامة عبد المحسن العباد البدر حَفِظَهُ اللَّهُ رسالة نافعة بعنوان: «منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف».

«كَانُوا يَقُولُونَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ»[١].

فهذه من الأمور والميزات التي تتميز بها مصنفات هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ ويلاحظ فيها نحسبه كذلك والله حسيبه، أنها نابعة عن إخلاص وصدق، ولهذا بارك الله تبارك وتعالى فيها بركة عظيمة في العالَم كله، ونفع الله تبارك وتعالى بها نفعا عظيما، وتبصر الناس وعرفوا التَّوحيد، وعرفوا السنَّة، وعرفوا الإيمان الصحيح وسلموا من شبهات أهل الباطل، وأضاليل أهل الضلال، وكل ذلك حصل لمن كتب الله تبارك وتعالى له التوفيق من عباده.

وفي هذه الرسالة التي بين أيدينا - وهي رسالة عظيمة جدا وقيمة للغاية - يجيب فيها رَحِمَهُ اللَّهُ عن سؤال ربما يطرحه كل مسلم، أو ربما يشغل بال كل مسلم ناصح لنفسه، ألا وهو ما الذي يجب علينا نحو ما أمرنا الله تبارك وتعالى به؟

فالله عَزَّ وَجَلَّ أمرنا بأوامر كثيرة في كتابه، وأمرنا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأوامر العديدة في سنته، ونهانا ربنا تبارك وتعالى عن نواه كثيرة في كتابه، ونهانا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نواه عديدة في سنته، فما الذي يجب علينا معاشر المسلمين نحو ما أمرنا الله وتعالى به، وما أمرنا رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونحو ما نهانا الله

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (١٤١)، وانظر على سبيل المثال: «الإبانة الكبرى» (٢٤٢)، و«الشريعة» (٣٠).

تبارك وتعالى عنه، ونهانا عنه رسوله ﷺ؟

فيلخص لك الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الواجب نحو ما أمرنا الله ﷻ به في أمور سبعة، فاحفظها واعتن بها ينفعك الله تبارك وتعالى بها نفعا عظيما.

فيجب عليك نحو ما أمرت به ونهيت عنه في القرآن والسنة أمورا سبعة بينها وجمعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة المختصرة، ولعل من الدوافع - والله تعالى أعلم - لتأليف هذه الرسالة أن كثيرا من الناس يعلمون الأوامر وتبلغهم ولكنهم لا يدرون بدقة ما الذي يجب عليهم فكان تأليف هذه الرسالة، ولهذا ستلاحظ في رسالة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ركز على هذا الجانب، ألا وهو بيان حال الناس وواقعهم مع هذه الأوامر لما عرض الأمور السبعة أشار إلى واقع كثير من الناس معها، وأن القليل من الناس هم الذين كملوها ورعوها واعتنوا بها، وأن كثيرا من الناس فرطوا في هذه الأمور فتجده إما عمل ببعضها وفرط في باقيها، أو فرط في جميعها، وأما القليل من الناس هم الذين وفقهم الله ﷻ بالعمل بهذه الأمور السبعة مجتمعة ورعوها واعتنوا بها محققين بذلك إسلامهم ومتممين إيمانهم، ولهذا أيها الأخ الموفق ينبغي أن تعير هذه الأمور اهتمامك وأن تعتني بها حفظا أولا، وفهما ثانيا، ثم عناية بتطبيقها.

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَمَرَ اللهُ العَبْدَ بِأَمْرٍ وَجَبَ عَلَيْهِ فِيهِ سَبْعُ مَرَاتِبَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجَبَ» يدل على أن هذه الأمور السبعة التي يذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ هي من الواجبات على كل مسلم ومسلمة نحو ما أمرنا الله تبارك وتعالى به، ونحو أيضا ما نهانا تبارك وتعالى عنه، ثم ذكرها أولا مجملة ثم بعد ذلك فصَّلها بعض التفصيل قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأُولَى: العِلْمُ بِهِ.

وَالثَّانِيَةُ: مَحَبَّتُهُ.

وَالثَّالِثَةُ: العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ.

وَالرَّابِعَةُ: العَمَلُ.

وَالخَامِسَةُ: كُوْنُه يَقَعُ عَلَى المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا.

وَالسَّادِسَةُ: التَّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِ مَا يُحْبِطُهُ.

وَالسَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَيْهِ.

فهذه أمور سبعة عظيمة تجب عليك أيها المسلم نحو كل ما أمرك الله تبارك وتعالى به، وقد جمعت لك الخير كله، وهي ليست أمورا غامضة، بل أمور واضحة يفهمها العامي فضلا عن طالب العلم أو العالم، وهي بينة وظاهرة، ولا تحتاج إلى شرح وبيان[1].

---

(١) الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّنَ أن العلم منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفائي وساق التفصيل في ذلك، فمما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن العلم بالمفروض تعلمه =

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأُولَى: العِلْمُ بِهِ**» أي: إذا أمرك الله تبارك وتعالى بأمر، فإن أول ما يجب عليك نحوه أن تعلمه، ولهذا قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ١٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سُورَةُ طٰهٰ].

أن تعلم الذي أمرت به، لتعبد الله تبارك وتعالى على بصيرة، ومن كان لا يعلم المأمور فإنه لا يعلم ما أمره الله تبارك وتعالى به، فكيف يعبد الله وهو يجهل دين الله؟ ولهذا أول واجب علينا نحو ما أمرنا به أن نتعلمه، أمرنا بالتوحيد، فما واجبنا الأول نحو التوحيد؟ أن نتعلمه، وأن نفهمه فهما صحيحا.

وأمرنا بالصلاة وهي من أعظم الأوامر بعد التوحيد، فما واجبانا نحوها؟ أن نتعلمها: فنعرف الصلاة بأركانها، واجباتها، شروطها، كما أمرنا ربنا بذلك، وكما جاء في سنة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القائل: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١)، ولا يمكن أن يصلي الإنسان كما كان رسول الله ﷺ يصلي إلا بالعلم، وهكذا قل في بقية الأوامر التي أمرك الله تعالى بها، ولهذا قدم رَحِمَهُ اللَّهُ العلم قبل الأمور الأخرى التي ذكرها، لأن العلم به يبدأ،

ضربان ضرب منه فرض عين لا يسع مسلما جهله وهو أنواع... وأما فرض الكفاية» «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٧).

(١) رواه البخاري (٦٣١).

كما قال الله تعالى في القرآن ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ : ١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، ولهذا العلم أول ما يبدأ به من أمور الدين، أن يتعلم الإنسان دينه، وأن يتعلم الأوامر التي أمره الله تبارك وتعالى بها، وأن يتعلم النواهي التي نهاه الله تبارك وتعالى عنها، ليكون في عبادته لله تبارك وتعالى على بصيرة لا أن يعبد الله بالجهل، أو يعبد الله بالأهواء، أو يعبد الله بالبدع والضلالات، فقد قال عليه الصلاة والسلام : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، ولا يمكن أن تعمل العمل الذي عليه النبي ﷺ إلا بالعلم النافع الذي تقتدي به وتعرف به الحق والهدى، وتميز به بين الحق والباطل، وتعبد الله على بصيرة وبينة، وإنَّ من الدعوات العظيمة النافعة التي كان النَّبِيُّ ﷺ يُلازمُ المحافظةَ عليها كلَّ صباح ما ثَبت في «مسند الإمام أحمد» و«سنن ابن ماجه» من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً**»(٢).

وذلك أن اليوم هو للعمل، وتحقيق الأهداف العظيمة التي يسعى إليها

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٢٢)، وابن ماجه (٩٢٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٧٥٣).

المسلم ذكرت في هذه الدعوات المباركة، فبدأ بالعلم النافع قبل الرزق الطيب، وقبل العمل المتقبل، وذلك فيه تنبيه إلى أهمية العلم فبه يميز بين الرزق الطيب والخبيث، وبين العمل المتقبل والمردود.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَالثَّانِيَةُ: مَحَبَّتُهُ**» أي: محبة الشيء الذي أمرك الله به، والمحبة مكانها القلب ولذلك ينبغي على المسلم أن يعود نفسه دائما على محبة الشيء الذي أمره الله به، لأن المحبة هي التي تسوق إلى الجد في العمل؛ فإذا أحب المأمور حبا عظيما وأحبه قلبه حبا قويا تحركت نفسه للعمل به.

بينما إذا انعدمت المحبة فإن العمل سيضعف أي يذهب تبعا لذلك، ولهذا يعوِّد المسلم نفسه دائما أن يحب الشيء الذي أمره الله تبارك وتعالى به، ويعود نفسه على محبة ذلك وعلى بغض الشيء الذي نهاه الله عنه، لأن الله لا يأمرك بشيء إلا هو خير للعبد في دنياه وأخراه ولا ينهاه تبارك وتعالى إلا عما فيه مضرة عليه في دنياه وأخراه.

«قال بعض الأعراب وقد سئل بم عرفت أنه رسول الله؟

فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته ينهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال: ليته أمر به»[1] أي: أن الذي يأمر به أمور عظيمة فيها مصالح رفيعة وعظيمة للإنسان في دنياه وأخراه، والذي ينهى عنه ﷺ أمور تضره في دنياه وأخراه.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٦).

ولهذا الواجب على كل مسلم نحو الأوامر أن يحب ما أمر الله تعالى به وأن يبغض الأشياء التي نهى الله عنها.

فمثلا نهانا عن الكفر فنبغض الكفر، ونهانا عن المعاصي فنبغض المعاصي، ونهانا عن الفسوق فنبغض الفسوق، ونهانا عن الزنا والكذب والغش والخيانة.. إلى آخره فنبغض هذه الأشياء ونكرهها من قلوبنا.

وأمرنا سبحانه بالصلاة وبالصيام وببر الوالدين وبصلة الأرحام وبالوفاء وبالأمانة وبالصدق وبالحياء وبالخشية.. إلى آخره، فنحب هذه الأشياء التي أمرنا تبارك الله تعالى بها فهي أساس عظيم ومطلب جليل.

أما والعياذ بالله إذا انقلبت حال الإنسان وأصبحت نفسه تبغض المأمورات: فتبغض الشيء الذي أمر الله به أو تبغض بعضه، وفي الوقت نفسه تحب المنهيات والفواحش، فمن أين يريد أن يأتيه الخير إذا كانت نفسه رديئة إلى هذا الحد ودنيئة إلى هذا القدر؟

فتجد نفسه والعياذ بالله تحب الزنا وأماكن الفواحش والمحرمات، وتنكمش وتنقبض من المساجد وبيوت الله وأماكن الطاعات، ويقول نفسي ما تميل للذهاب للمساجد وتنشرح نفسه لأماكن الخمارات وأماكن الرقص وأماكن العهر والفجور ويقول: نفسي ترتاح وتميل لذلك، وإذا ذكرت له الصلاة اشمأزت نفسه، فكيف يمكن أن يصل الخير إلى قلبه وأن يبلغ منه المبالغ العالية الرفيعة؟

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[١]، فهذا القلب إذا صلح - ومن أعظم ما يصلح به المحبة - أن تحب أولا بقلبك الله جل وعلا ونبيه ﷺ، وأن تحب كل ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال، وتحب الأنبياء والأولياء والصالحين، وتحب الطاعات والأوامر التي أمرك الله تبارك وتعالى بها، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ، وَتُبْغِضَ لَهُ**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٤]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

إذا الواجب الثاني علينا نحو ما أمرنا الله تبارك وتعالى به أن نحبه محبة

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١٨٥٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٩٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٨٠).

(٤) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

صادقة من قلوبنا نعمر قلوبنا بمحبة الله ومحبة كل ما يحبه الله تبارك وتعالى[١].

وليعتن في هذا المقام بالأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها، وهي عشرة:

«**أحدها**: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام جميل له: «فالمحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضات الله، فهو لله وبالله ومع الله»«مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٠).

الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل»[1].

ثم ذكر المرتبة الثالثة: ألا وهي «**العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ**»: علمت أحببت، علمت ما أمرك الله به وأحببته.

فالأمر الثالث الذي تقوم به، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الأمور راعى ترتيبها من حيث الوقوع:

أولا: العلم به تبدأ.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٨).

ثانيا: المحبة؛ تحب هذا الشيء الذي أمرك الله تبارك وتعالى به.

ثالثا: العزم على الفعل، والعزم مكانه القلب، ولهذا بعد أن تعلم وتحب تعزم في قلبك عزما صادقا على العمل بهذا الذي أمرت به.

مثال ذلك: حضرت درسا أو سمعت خطبة أو موعظة وعلمت هذا الشيء الذي وعظت به وعلمته، وقلبك ارتاح له وأحببت ما أمرك الله به، فانتقل بعد هذا العلم وهذه المحبة إلى عزم صادق في قلبك لكي تقوم بهذا الذي تعلمته.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا في الدعاء الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**» وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح وما أتي العبد إلا من تضييعهما أو تضييع أحدهما فما أتي أحد إلا من باب العجلة والطيش واستفزاز البدوات لهن أو من باب التهاون والتماوت وتضييع الفرصة بعد مواتاتها، فإذا حصل الثبات أولا والعزيمة ثانيا أفلح كل الفلاح، والله ولي التوفيق»[1].

فإن أعطاك الله هذه الدعوة «**وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**» لم يبق لك من الخير شيء إلا ونلته وفزت به.

ومعنى «**وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**»: بمعنى أنك إذا علمت شيئا من الرشد

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤٢).

وشيئا من دين الله تبارك وتعالى تعزم بهمة عالية وإقبال صادق من قلبك على القيام بهذا الذي أمرت به، ولهذا لا ينبغي علينا أن نفوت على أنفسنا العناية بهذه الدعوات وهي تتعلق بالأمر الثالث[١].

لأن **المرتبة الأولى**: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**»، **والمرتبة الثاني**: ثبت عن نبينا ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ**»[٢].

والمرتبة الثالثة: العزم على الفعل؛ ومن أعظم الدعاء في هذا الباب ما ثبت عنه ﷺ: عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، **والعزيمة على الرشد**، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب»[٣].

---

(١) العزيمة على الفعل.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح المشكاة» (٦٠).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٣٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٨).

ثم ذكر المرتبة الرابعة: وهي «**العَمَلُ**» أي: أن تعمل بما أمرت به؛ علمت وأحببت وعزمت في قرارة نفسك وفي قلبك، أن تقوم بما أمرت به، فالمرتبة الرابعة أن تعمل وتقوم وتنطلق للشيء الذي أمرت به، وقيامك بالعمل أيضا لا غنى لك فيه عن عون الله، ومن المشروع للمسلم أن يقول أدبار الصلوات ما أوصى به النَّبِيّ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه، ففي «سنن أبي داود» و«سنن النسائي» وغيرهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا وَقَالَ: يَا مُعَاذٍ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذٍ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[1]، وهذا الدعاء يكون دبر الصلاة[2]، وهو في غاية المناسبة لأنك إذا صليت فالذي أعانك هو الله جل جلاله، ولذلك تطلب العون مرة أخرى لأن أمامك صلوات وعبادات وأمور لا غنى لك فيها عن عون

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٤٧).

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «ودبر الصلاة المذكور في هذا الحديث والذي قبله يحتمل قبل السلام وبعده، قال ابن القيم رحمه الله: " وكان شيخُنا - يعني ابنَ تيمية رحمه الله - يُرجِّح أن يكون قبل السلام، فراجعتُه فيه، فقال: دُبر كلِّ شيء منه كدبر الحيوان "وبالله التوفيق» «فقه الأدعية والأذكار» (٢/ ١٠٣).

الله تبارك وتعالى ولهذا يحافظ على هذا الدعاء محافظة تامة دبر كل صلاة كما وجه ذلك نبينا عليه الصلاة والسلام، والأحاديث التي فيها طلب العون على العمل والقيام به كثيرة معلومة عن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه.

إذن المرتبة الرابعة: **أن تعمل**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، فالمطلوب منك أن تفعل الشيء الذي وعظت به، وينبغي أن تعلم أن المقصود من طلب العلم ومجالسه: العمل.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «يهتف بالعلم العمل فإن أجابه وإلا ارتحل»[1].

يقصد رضي الله عنه بالعلم أن يعمل الإنسان بما علم وإلا كان علمه حجة عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» خرجهما الإمام مسلم رحمه الله في «صحيحه».

---

(١) رواه ابن عساكر في «ذم من لم يعمل بعمله» (ص٣٨).

(٢) رواه مسلم (٨١٧).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ الخَامِسَةُ: كُوْنُه يَقَعُ عَلَى المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا**»: فعمل العبادة لا يكون باتباع الهوى، بل لابد من شرطين ألا وهما:

١/ الإخلاص للمعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢/ المتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيحرص العبد على أن يقع منه العمل خالصا لله صوابا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الدعاء المتقدم قال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[(١)]؛ لأن العبادة لا تقبل إلا إذا اتصفت بالحسن ولا تكون العبادة متصفة بالحسن إلا بالإخلاص والمتابعة، قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سُورَةُ المُلْكِ: ٢]، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى الآية: «أي: أخلَصُه وأصوَبُه»، قيل: يا أبا علي وما أخلَصُهُ وأَصْوَبُه؟

قال: «إنَّ العملَ إذا كان خالصاً ولَم يكن صواباً لَم يُقبَل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لَم يُقبَل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالصُ ما كان لله، والصواب ما كان على السُّنَّة»[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٤٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه «الإخلاص والنية» (ص٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥).

إذن علمت وأحببت وعزمت في قلبك على العمل وعملت مع حرصك على أن يكون العمل منك حين يقع على الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ.

والدليل على أن الله لن يقبل العمل الذي ليس قائما على الإخلاص قوله تعالى في الحديث القدسيّ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

والدليل على أن الله ﷻ لا يقبل العمل إذا لم يكن صوابا على السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢): أي مردود على صاحبه وغير مقبول منه، فهذه المرتبة الخامسة.

قال رحمه الله: «**المَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ الصَّالِحِينَ يَخَافُونَ مِنْ حُبُوطِ العَمَلِ**» أي: أن تحذر من فعل شيء يحبط عملك، فالصالحون كانوا يخافون من حبوط الأعمال، وفرق بين الصالحين مع أعمالهم وبين غير الصالحين؛ فغير الصالح يقوم بالعمل ثم يمن بعمله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، بينما الصالح يقوم بالعمل وهو خائف أن يحبط وأن لا يقبل

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ].

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟

قَالَ ﷺ: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ»(١).

ومحبطات الأعمال عديدة(٢) جاء بيانها في سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه، ومن أعظم الأمور التي تحبط الأعمال الرياء والسمعة

---

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٣٨٤).

قال العلامة الألباني رحمه الله: « والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم... وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله ﷻ، وَهُمْ لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم، فليتأمل المؤمن هذا عسى أن يزداد حرصا على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه ﷺ في هديه فيها »«السلسلة الصحيحة» (١/ ١٦١).

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر؛ وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه» «الوابل الصيب» (ص١٥).

سواء كانت وقت العمل أو بعده:

فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟».

قَالَ: قُلْنَا بَلَى.

فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[1].

فيحسن الصلاة لا لأجل الله وإنما لأجل نظر الناس إليه، أو بعد العمل فيحاول أن يبرز عمله للناس من أجل ثنائهم عليه.

مثال ذلك: قام شخص الليل خاشعا باكيا مخلصا متبعا سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم جلس مع رفقائه يحدثهم: كنت في صلاة، وكنت في خشوع وبكاء، وهو يقصد بذكر هذه الأمور أن يحمد بذلك وأن يشتهر وأن يعرف وأن يثنى عليه، فهذه مصيبة من المصائب! وقد فشت في الناس أن عددا من الحجاج يلتقط لنفسه صورا تذكارية في المشاعر وأماكن العبادات، ورأيت بأم عيني عند الجمرات أحد الحجاج يمد آلة التصوير التي معه لصاحبه ثم يقف ويعطي ظهره للجمرات بسرعة ويمد يديه وأخذ يحركها كهيئة الداعي لأن التصوير بالفيديو، ثم بعد ذلك يحملها

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٩٤)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٣٨٩).

إلى بلده ويعرضها على رفقائه وزملائه ويقول: انظروا وأنا في الجمرات، وفي عرفة، وفي الطواف.. وهكذا.

فالنبي عليه الصلاة والسلام لما حج حجة الوداع وصل إلى الميقات ولبس الإحرام متوجها إلى مكة ماذا قال؟

الجواب: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ أَوْ لاَ تُسَاوِي ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لاَ رِيَاءَ فِيهَا وَلاَ سُمْعَةَ**»[1].

أي: لا يُقصد بها إلا وجهك الكريم، ولا يبتغى بها أي شيء آخر: لا أحد يثني علي، ولا أحد يمدحني، لأن الله سبحانه لا يقبل العمل الذي فيه شركة، فإذا حج وهو يريد ثواب الله أو يريد مدح الناس له وثناءهم عليه إلى آخره.. فالله لا يقبل هذا العمل الذي جعل له معه شريكا، ولهذا قال في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[2]: فلا يقبل العمل إلا إذا كان خالصا لوجهه الكريم جل جلاله، ولهذا قال عز وجل في آخر آية من [سُورَةُ الْكَهْفِ]: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾: فإذا كنت

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٩٠)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (٢٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

ترجو لقاء الله بعملك الذي يثيبك عليه ويكون العمل الذي قمت به من صالح عملك الذي تلقى الله به يوم القيامة فليكن عملا صالحا ولا تشرك مع الله أحدا لا في قليل ولا في كثير.

ولهذا إذا علمت وأحببت وعزمت وعملت وأخلصت واتبعت كما مر في المراتب الأولى احرص بعد ذلك ألا تأتي بشيء يحبط العمل ويبطله، وأعظم مبطل للعمل ومفسد ومتلف له تماما الشرك بالله والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، ولهذا إذا وجد من يدعو غير الله أو يستغيث بغير الله أو يذبح لغير الله أو غير ذلك من العبادات فإن هذا من مبطلات الأعمال كلها، فلا صلاة ولا صيام ولا حج ولاصدقة.. لأن الشرك والعياذ بالله إذا دخل على الأعمال أبطلها برمتها .

قال تعالى عن أهل الشرك: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سُورَةُ الْفُرْقَانِ]، وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سُورَةُ الْكَهْفِ].

إذن فليحذر العبد كل الحذر من محبطات الأعمال ومبطلاتها حمانا الله وإياكم ووقانا ووقاكم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَى الحَقِّ**» أي: أن تثبت على هذا

الأمر إلى أن يتوفاك الله تبارك وتعالى وهو عنك راض والله تعالى يقول: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ]، وكان أكثر دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**».

فعن شَهْر بْن حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟

قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟

قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»[1]. والله يقول في القرآن الكريم: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ]، ولهذا الأمر السابع الذي ينبغي أن تحرص عليه نحو المأمورات الثبات على ذلك إلى أن يتوفاك الله، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٩٢).

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[سُورَةُ فُصِّلَتْ].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سُورَةُ الأَحْقَافِ].

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ.

قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»(١).

وتأمل معي أيضا في هذه الدعوة التي كان يدعوا بها نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهي ثابتة في «الصحيحين» كان يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في دعائه: «**اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(٢).

ومن الأذكار العظيمةِ النافعةِ للمسلم عند خروجِه من منزلِه ما ثبت في «سنن أبي داود» و«ابن ماجه» وغيرِهما عن أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي، أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ**

---

(١) رواه مسلم (٣٨).

(٢) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٢٧١٧).

عليَّ»[١].

إذن الثبات على الأمر والدوام عليه والبقاء عليه والمحافظة عليه إلى أن يموت الإنسان على هذه الحال فهذا الذي ينال به الإنسان المقصود.

أما والعياذ بالله لو أن الإنسان ختم له في آخر حياته بخاتمة سيئة كما قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَى الحَقِّ، وَالخَوْفُ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ، لِقَوْلِهِ** ﷺ: «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَعْمَل بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، وَيُخْتَم لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار**» ولهذا مما يخافه الصالحون السوابق والخواتيم[٢]، السوابق فيما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ]، فيخاف السابق أي في الكتاب، ويخاف الخاتم التي يختم عليه بها وأمره بيد الله ولهذا يلجأ دائما إلى الله أن يثبته: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، أن يعيذه من الضلال وأن يجنبه الزلل..

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٤)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وصحَّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٣٤).

(٢) قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم يقولون بماذا يختم لنا؟! وقلوب المقربين معلقة بالسوابق يقولون: ماذا سبق لنا؟!» «جامع العلوم والحكم» (ص٥٧).

وغير ذلك من الدعوات العظيمة المباركة الثابتة عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وأن يجنبه الفتن إلى غير ذلك من الدعوات العظيمة المباركة الثابتة عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

فهذه مراتب سبعة عرضها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عرضا مجملا ثم شرحها بشيء من الاختصار مع ضرب مثال يوضح المقصود.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إِذَا عَرَفَ الإِنْسَانُ أَنَّ الله أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ وَنَهَى عَنِ الشِّرْكِ، أَوْ عَرَفَ أَنَّ الله أَحَلَّ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، أَوْ عَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ أَكْلَ مَالِ اليَتِيمِ وَأَحَلَّ لِوَلِيِّهِ أَنْ يَأْكُلَ بِالمَعْرُوفِ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ المَأْمُورَ بِهِ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَهُ، وَيَعْلَمَ المَنْهِيَّ عَنْهُ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَهُ، وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ بِالمَسْأَلَةِ الأُولَى، وَهِيَ مَسْأَلَةُ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ، أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ وَلَكِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَسْأَلْ، وَعَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ الرِّبَا وَبَاعَ وَاشْتَرَى وَلَمْ يَسْأَلْ، وَعَرَفَ تَحْرِيمَ أَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَجَوَازَ الأَكْلِ بِالمَعْرُوفِ وَيَتَوَلَّى مَالَ اليَتِيمِ وَلَمْ يَسْأَلْ**».

فعليك أن تعرف التوحيد ما هو وأن تعرف الشرك ما هو؛ إذ كيف يكون موحدا من لا يعرف التوحيد وكيف يسلم من الشرك من لا يعرف الشرك؟ ولهذا قيل: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟»[1].

أي: كيف تتقي المنهيات وأنت لا تعرفها؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦٥).

وكيف تفعل الأوامر وأنت لا تعرفها؟

إذن الخطوة الأولى والمرتبة الأولى التي تجب علينا نحو المأمور أن يعلمه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ المَأْمُورَ بِهِ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَهُ، وَيَعْلَمَ المَنْهِيَّ عَنْهُ وَيَسْأَلَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَهُ**» لأن هذا الدين خلقنا الله تبارك وتعالى لأجله، ولهذا يجب على العبد أن يتعلم، ومن طرق التعلم سؤال أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

وهذا العلم ليس خاصا بالأوامر فقط، بل النواهي كذلك فيسأل أهل العلم ويبحث عنها حتى يعرف الشيء الذي نُهِيَ عنه، ولهذا ألف غير واحد من أهل العلم في الكبائر ومنهم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأوصي كثيرا بكتاب «**الكبائر**» له، وأن يقرأه المرء ولو مرة واحدة على أهل بيته؛ لأن المجتمعات كثرت فيها الكبائر والنواهي فتكون براءة ذمته بتعلمه وتعليمه لأولاده وأهله؛ لأن العلم إذا وجد يتبين الناس الحق من الضلال.

إذن المرتبة الأولى العلم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ بِالمَسْأَلَةِ الأُولَى، وَهِيَ مَسْأَلَةُ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ، أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ**»، ولكن أعرض عنه ولم يسأل عنه الكثير من الناس. والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ

يقول: «التَّوْحِيد زِين»[1]، ولكن رغم فضائله العديدة والكثيرة إلا أن بعض الناس لا يخصص الوقت ليتعلم هذا الزين، ولو سألته عن التوحيد والشرك يقول لك: التوحيد زين وجميل، والشرك شين وقبيح؛ لكن ما يخصص وقتا يتعلم فيه التوحيد وما يتعلق به، وكذلك ما يتعلق بالشرك حتى يحذر منه ويجتنبه، ولهذا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «**أَكْثَرُ النَّاسِ عَلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ حَقٌّ، وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ؛ وَلَكِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَسْأَلْ**» فيتعلم أشياء كثيرة من أمور الدنيا ولكن يعرض عن أعظم موضوع وهو التوحيد، فأكبر خسارة يخسرها الإنسان أن يخرج من الدنيا وهو ما عرف أحسن شيء فيها، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم].

فأخطر ما يكون على الإنسان أن يخرج من الدنيا ولم يعرف أجمل ما يكون، ولم يتعلم عن أزين ما فيها وهو توحيد رب العالمين، وكما قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عندما تسأل كثيرا من الناس عن التوحيد وعن الشرك يقول لك: التوحيد زين، ويقول لك: الشرك شين، ولكن ما عنده وقت بل معرض عن التعلم.

وكذلك مما جعل إعراض بعض الناس عن تعلم التوحيد أئمة الباطل

---

(١) «الدرر السنية» (٣/ ٥٣).

ودعاة الضلال وأهل الصد عن دين الله تبارك وتعالى فصرفوا الناس عن التمييز بين الحق والباطل، وفي الوقت نفسه علموهم الضلال والبدع والخرافات، فصرفوهم عن التوحيد وعن السنة وعن معرفة الحق الذي بعث به رسوله صلوات الله وسلامه عليه حتى إن بعض الناس - وهذا من التناقضات العجيبة - يسأل عن التوحيد ثم يمد يديه ويقول: (مدد يا فلان) فأين التوحيد زين؟ مدد يا فلان! أدركني يا فلان! من الذي يدركني؟! من ألوذ به سواك؟! فيخاطب مخلوقا، ويدعو ميتا من دون الله والعياذ بالله، والله تعالى يقول: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَعَرَفَ أَنَّ الله حَرَّمَ الرِّبَا وَبَاعَ وَاشْتَرَى وَلَمْ يَسْأَلْ**» لأنَّ أهم سؤال عنده كيف تكون الأرباح؟ وكيف السبيل لتحصيلها؟ فإذا كانت النسبة عالية دفع ولم يبال، لكن نوع البيع هل هو جائز أم لا؟! ما يسأل رغم أنه قريب من الشيخ الفلاني، وفي الحديث: عَنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَينَهُما أُمُورٌ مُشتَبِهاتٌ، لا يَعْلَمُهنّ كثيرٌ مِن النَّاسِ، فَمَن اتَّقى الشُّبهاتِ استبرأ لِدِينِهِ وعِرضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعي يَرعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرتَعَ فيهِ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى**

اللهِ محارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً إذا صلَحَتْ صلَحَ الجَسَدُ كلُّه، وإذَا فَسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كلُّه، ألا وهِيَ القَلب»[١].

وفي الحديث الآخر: «**دَعْ ما يريبُكَ إلى ما لاَ يرِيبُكَ**»[٢] أي: عليك بالواضح البين وإياك بأمر فيه شبهة وفيه باطل أو تخاطر بدينك[٣].

وبعض الناس في هذا الباب أهم سؤال عنده في هذه المسألة عن الربح، وقد يقع في الربا والعياذ بالله التي قال الله عنها: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، وبعض الناس لما تركوا السؤال والتعلم حول هذه المسائل فباعوا واشتروا وقعوا في أمور كثيرة، وبعض الناس أموالهم ضاعت وصحتهم تلفت وأصيب بعضهم بأمراض عديدة، والله المستعان.

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٤٧).

(٣) قال الشيخ العلامة عبد المحسن العباد البدر حَفِظَهُ اللهُ: «مِمَّا يُستفاد من الحديث:

١- ترك ما يكون فيه ريبة، والأخذ بما لا ريبة فيه.

٢- أنَّ تركَ ما يُرتاب فيه فيه راحة للنفس وسلامتها من القلق» «فتح القوي المتين» (ص٥١).

وقد قرأت في أحد الكتب (ومؤلفه رجل غير مسلم) - وهذا قبل أكثر من خمسين سنة - عن حال بعض الناس في بلاد الكفر، وأرى أنها وجدت في عدد من المجتمعات المسلمة؛ قال: «بات من المقرر أنه كلما نزلت نسبة الأرباح في الأسهم زادت نسبة السكر في الدم».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَعَرَفَ تَحْرِيمَ أَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَجَوَازَ الأَكْلِ بِالمَعْرُوفِ وَيَتَوَلَّى مَالَ اليَتِيمِ وَلَمْ يَسْأَلْ**» هذه مصيبة أخرى، يعلم أن الله حرم أكل مال اليتيم ويكون تحته يتامى وعنده أموال لهم فيأكل من مال اليتيم ولا يسأل عما يجوز مما لا يجوز، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

فهذا إعراض بعض الناس عن العلم بالتوحيد، والعبادات والمعاملات إلى غير ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: مَحَبَّةُ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَكُفْرِ مَنْ كَرِهَهُ، لقول الله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ] **فَأَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يُحِبْ الرَّسُولَ بَلْ أَبْغَضَهُ، وَأَبْغَضَ مَا جَاءَ بِهِ وَلَوْ**

عَرَفَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَهُ».

أي: تجد بعض الناس يعرف أن الذي جاء به الرسول ﷺ حق، وأنه منزل من عند الله تبارك وتعالى ولكنه يبغضه.

وبعض الناس يكون بغضه للرسول ﷺ أو ما جاء به لأطماع أو أغراض دنيوية؛ لأن ما جاء به الرسول ﷺ لا يوافق هواه ولا يتماشى مع رغباته وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يُؤمِنُ أَحدُكُم حتّى يكونَ هَواهُ تَبَعًا لِما جِئتُ بِهِ**»[1].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَرَفَ وَأَحَبَّ وَلَكِنْ لَمْ يَعْزِمْ خَوْفًا مِنْ تَغَيُّرِ دُنْيَاه**» فهذا سبب من الأسباب، أي: أن بعض الناس يعرف ويحب قلبه لكن ما يعزم على الفعل لأنه لو يعزم عليه فإن دنياه تتغير إما رئاسة أو مكانة، وهكذا.

فخوفه على التغير يجعله يحجم، وفي قصة أبي طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام دروس وعبر، فقد كان ﷺ يدعوه للإسلام دعوة متكررة فعرف أن الدين حق وأدرك أنه شيء محبوب وشيء طيب، ولكنه لم يعزم على العمل خوفا من تغير الدنيا، وهو نفسه يقول:

وعرضت دينًا قد عرفت بأنّه

---

(١) رواه الخطيب في «التاريخ» (٤/ ٣٦٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤)، وضعفه الألباني في «ظلال السنة» (١٥).

مـــن خيـــر أديـــان البريـــة دينـــًا

إذن لماذا لم تعمل ولم تعتنق هذا الدين الذي وصفته بهذه الأوصاف؟ يقول بعد ذلك:

لـــولا الملامـــة أو حِـــذار مســـبّة

لوجـــدتني ســـمحًا بـــذاك مبينـــًا[1]

فيخاف التغير أن يلام وأن يسب وأن يقال له: صبأت وتركت دين الآباء إلى آخره، فيخاف من تغير دنياهن مما يجعله لا يعزم.

وبعض الناس يعرف السنة ويقول: هذا حق والأدلة واضحة، ثم تأتيه الشبهة فيقول: إذا ذهبت إلى بلدي سينشغل بعض الناس بي ويلمزونني بأبشع الصفات والتصنيفات، ولا أنسى شابا قبل ما يقارب عشرين سنة حدثني بنفسه لما أراد أن يأتي للحج أو العمرة، فقال له أحد الشيوخ في منطقته: إذا ذهبت إلى هناك فانتبه للشيوخ الوهابية وأخذ يصف لهم العلماء والدعاة بأوصاف شنيعة، ثم قال: واحذر أن يخدعوك فلهم صفة واضحة يعرفون بها، يقولون: قال الله، قال رسوله»، نسأل الله السلامة آيات قرآنية وأحاديث نبوية ثم يُصد ويُطعن في أهلها، لأنهم استبدلوها بأفكارهم السقيمة وتجاربهم الفاسدة، ويبنون عقائدهم على منامات ثم

(١) انظر: «دلائل النبوة» (٢/ ٦٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٥٧)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٥٦)، و«الإصابة» (٧/ ٢٣٥).

يعيشون على ضلال مبين، ومن أراد منهم أن يقبل على الحق والهدى وضعوا حواجز دونه ودونها حتى لا يقبل عليها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: العَمَلُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَزَمَ أَوْ عَمِلَ وَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ مَنْ يُعَظِّمُهُ مِنْ شُيُوخٍ أَوْ غَيْرِهِمْ تَرَكَ العَمَلَ**».

فيعمل فعلا بعد ما أحبه وعزم على فعله؛ فيظهر عليه بعض شيوخه أو بعض المُعَظَّمين عنده قالوا له: بعد كل هذه السنوات الطويلة والعمر المديد ومضينا فيه على يد واحدة وعقيدة واحدة، عقيدة الآباء والأجداد والعشيرة ثم تتغير بهذه السهولة وتُخدع؟!

فتجده يترك الحق والهدى حتى لا يَتكلم عليه من هو معظم عنده، والله المستعان.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ مَنْ يُعَظِّمُهُ**»: أي اطَّلع عليه ووقف على عمله بعض من يعظمه من الشيوخ والآباء، وقصة هرقل مشهورة لما دعا عظماء الروم وقال لهم: « يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاَحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَ.

وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ،

فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ»[١].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ الخَامِسَةُ: أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ عَمِلَ لَا يَقَعُ خَالِصًا، فَإِنْ وَقَعَ خَالِصًا لَمْ يَقَعْ صَوَابًا**».

هذه مسألة تحتاج إلى مجاهدة من العبد في كل عمل على أن يقع منه بإخلاص ومتابعة.

فالإخلاص للمعبود ﷻ، والمتابعة للرسول ﷺ، وقد قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من نيَّتي».[٢]

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ الصَّالِحِينَ يَخَافُونَ مِنْ حُبُوطِ العَمَلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]» أي: أن تبطل بعمل العبد أعمال أخرى، فيخاف أن تبطل أعماله التي مضت كلها.

«**لِقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾»: يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منبها على أهمية هذا الأمر، «**وَهَذِهِ مِنْ أَقَلِّ الأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا**» أي: أقل الأشياء وجودا، يعني قليل من الناس الذي يخاف على عمله أن يحبط؛ بل ولا يبالي ويمارس أمورا كثيرة ربما تكون سببا لحبوط عمله،

---

(١) رواه البخاري (٧).

(٢) رواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٦٩٢).

فيقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ منبها على ذلك: «**وَهَذَا مِنْ أَقَلِّ الأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا**».

ثم ختم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «**المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَى الحَقِّ، وَالخَوْفُ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ، لِقَوْلِهِ** ﷺ: «**إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَعْمَل بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، وَيُخْتَم لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار**».

جاء في «الصحيحين»: «**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ**»[1].

فهاتان الكلمتان «يسبق» و«يختم» يخاف منها الصالحون؛ من السوابق: ما سبق في علم الله أن يموت عليه العبد، ويخاف كذلك من الخواتيم أن يموت على خاتمة سيئة والعياذ بالله، فهذا مما خافه الصالحون، فهذا الخوف عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى، وتحرك في نفس المؤمن الدعاء المستمر لله بالثبات والهداية، وأن لا يزيغ قلبه.

وتثمر فيه المجاهدة المستمرة الدائمة على الاجتهاد في الأعمال الصالحات والاستقامة على دين الله تبارك وتعالى، واجتناب ما نهى الله تعالى عنه من الأعمال التي لا ترضيه، بل تغضبه وتسخطه.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَهِيَ قَلِيلٌ فِي زَمَانِنَا**»: وهو مما يخاف منه الصالحون ولكن هو قليل في زماننا أي: الخوف من الخاتمة.

ثم ختم بتنبيه عام فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَالتَّفَكُّرُ فِي حَالِ الَّذِي تَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ يَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ تَجْهَلُهُ**» أي: عندما تقرأ هذه الأمور بتأن ثم تتفكر في أحوال الناس فإن هذا يدلك على شيء كثير تجهله.

وجعل آخر رسالته قوله رَحِمَهُ اللَّهُ «**وَاللهُ أَعْلَم**».

وهي رسالة عظيمة ونافعة ولعلها تكون من الرسائل التي نحرص على تهاديها لجيراننا وأقربائنا وإخواننا، وأن نتدارس هذه المعاني العظيمة الموجودة فيها، ونتعاون على البر والتقوى وعلى تحقيق التوحيد والإيمان والسنة ونجاهد أنفسنا على هذا الخير العظيم.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجزي هذا الإمام خير الجزاء، وأن يعلي درجاته وأن يلحقنا به وبعباده بالصالحين، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

الفهرس

مقدمة المعتني..... ٥
المتن ٩
مقدمة الشارح..... ١١
المَرْتَبَةُ الأُولَى: العِلْمُ بِهِ..... ١٦
المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: مَحَبَّتُهُ..... ١٨
المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: العَزْمُ عَلَى الفِعْلِ..... ٢٤
المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: العَمَلُ..... ٢٥
المَرْتَبَةُ الخَامِسَةُ: كُوْنُه يَقَعُ عَلَى المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا..... ٢٧
المَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ: التَّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِ مَا يُحْبِطُهُ..... ٢٨
المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ: الثَّبَاتُ عَلَيْهِ..... ٣٢
الفهرس ٤٨

صَدَرَ لِلمُؤَلِّفِ

ISBN 978-9931-616-53-5